بسم الله الرحمن الرحيم

الوسطية فى ضوء الكتاب والسنة:

الوسطية بين التكفير والتبرير!!

إعداد :

الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة / خريج الجامعات السعودية /وأستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة النجاح الوطنية - نابلس/ ورئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر / فلسطين.

1433هـ2012 / م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى صحبه ومن ولاه اما بعد:

فإن الوسطية، كلمةٌ الكُل يرددها ويدندن حولها ويزعم أنه يعيها ويعمل بمفهومها ويطبق واقعها، فالكل يزعم ولابد من دليل ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ لأن الدعاوي سهلة فهي مجرد قول ولو تُرك الناس هكذا كل يدعي دعوى ويتقول قولاً هو فيه كاذب لاختلطت الأمور واتسعت الشرور وادعى الخَلِّي حِرْفَة الشّجي والغبي مرتبة الذكي، ولقد ذم الله تعالى أقواما ادعوا بألسنتهم دون ما فعل أو تطبيق فقال تعالى ذاماً لهم ومنكراً عليهم :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾

وكل يدعي وصلا بليلى	وليلى لا تقر لهم بذاكا

ومن هذا القبيل ما نسمعه من كثير من الجماعات التي تنتسب إلى الإسلام وتدعي الوسطية في المنهج وأنها الرائدة في منهج الوسطية والمثل الأعلى في ذلك...وأنها وأنها ,,فإذا ما نظرت إلى منهجها فإذا به ابعد المناهج عن دين الله فضلاً عن أن يكون هو الوسطية التي أمر الله بها ووسم بها الأمة، وحاشا لله، وقد صار هذا الأمر معضلاً عند كثير من الناس لا سيما العوام وعامة الناس الذين تنطلي عليهم الشُّبه ولا يميزون بين النَّقير والقطمير فيركبون كل دعوة بلا تكلف أو بحث، وهذا هو الذي حدا بنا إلى محاولة الكتابة في هذا الموضوع، الذي تخبط فيه كثير من الناس وضربوا فيه بأعطانهم كلٌ على حسب ما يميل إليه من الفِرقة التي ينتسب إليها ويدعو الناس إلى نهجها، ,,وموافقة الحق إذا لم يكن ثمَّة تجرد له وإخلاص نية لله تعالى فإن العمل يكون في سبيل الشيطان ولا يجني العبد الا الحسرة والندامة ,فحق لنا ان نعلم الوسطية السمحة , فدين الله غال والحق عزيز , ولا بد للحق من وعاء عظيم يلق بعظمة الحق , فالوسطية ليست شعاراً يقال باللسان وانما هي منهاج حياة.

الفصل الاول مفهوم الوسطية

المبحث الاول

معنى الوسطية في اللغة

الواو والسبن والطاء بناء صحيح يدل على : العدل ؛ والنصف وأعدل الشيء أوسطه ووسطه [1],وأما الوسط بسكون السين فهو ظرف لا اسم ، جاء على وزن نظيره في المعنى وهو (بين) نقول : جلست وسط القوم أي بينهم ...) [2].

أما (وسط)بفتح السين . فتأتي لمعان متعددة ومتقاربة .

ووسط الشيء وأوسطه أعدله [3] .

الوسط : محركة من كل شيء أعدله [4] .

وتأتي وسط : بمعنى : الشيء بين الجيد والرديء [5].

والوسط بالتحريك : المعتدل يقال : شيء وسط الجيد والرديء [6] .

---

[1] معجم مقاييس اللغة : كتاب الواو ، باب (الواو والسين) : (6 \ 108) .
[2] لسان العرب ، فصل الواو ، باب وسط ، (7 \ 427) .
[3] المصدر السابق (7\430) .
[4] القاموس المحيط باب الطاء فصل الواو : (893) .
[5] انظر الصحاح (3\1167)
[6] انظر المصباح المنير : (252). (2) انظر لسان العرب ، فصل الواو ، باب (وسط) : (7\430) .

المبحث الثاني

الوسطية اصطلاحاً [7]

كلمة (وسط) تستعمل في معانٍ عدةٍ أهمها :

1- بمعنى الخيار والأفضل والعدل .

2- وقد ترد لما بين شيئين فاضلين .

3- وتستعمل لما كان بين شيئين وهو خير .

4- وتستعمل لما كان بين الجيد والرديء ، والخير والشر .

5- وقد تطلق على ما كان بين شيئين حسا كوسط الطريق ، ووسط العصا ، وقد تأتى لمعانٍ أخرى قريبةٍ من هذه المعاني والمهم – هنا – متى يطلق لفظ (الوسطية) بل على ماذا يطلق هذا المصطلح ؟ فهناك من جعل مصطلح الوسطية مرادفاً للفظ الخيرية ، ولو لم يكن بين شيئين حسا او معنى .

قال فريد عبد القادر : ومن جملة ما سبق بيانه نستطيع أن نستخلص تعريفاً خاصاً محدداً للوسطية, فنقول : بأن الوسطية هي : مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة ، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين ، وإقامة الحجة عليهم ثم قال : أما ما شاع عند الناس وانتشر من الوقوف عند أصل دلالاتها اللغوية ، أي التوسط بين طرفين ، مهما كان موضوع هذا الوسط – الذي تم اختياره – من صراط الله المستقيم ، والتزاماً وانحرافاً، فليس بمفهومٍ صحيحٍ وفق ما

[7] الوسطية في القران علي محمد الصلابي ص 29-33 بتصرف .

تبينه الآيات والأحاديث [8] .

ويؤكد هذا المعنى في محل آخر فيقول ، ولا يلزم لكل ما يعتبر وسطاً في الاصطلاح أن يكون له طرفان ، فالعدل وسط ، ولا يقابله إلا الظلم ، والصدق وسط ولا يقابله إلا الكذب .

ومن هنالك من جعل (الوسطية) من التوسط بين الشيئين دون النظر إلى معنى الخيرية التي دل عليها الشرع .

ومن هنا نخلص إلى أن أي أمر اتصف بالخيريةِ والبينيةِ جميعاً فهو الذي يصح أن نطلق عليه وصف : الوسطية ، وما عدا ذلك فلا . وإلى هذا الرأي ذهب الدكتور ناصر ابن سليمان العمر في كتابه الوسطية في ضوء القران [9] .

وذهب الدكتور زيد عبد الكريم الزيد في كتابه الوسطية في الإسلام إلى ما ذكرته وقررته حيث قال : لوسط من كل شيء أعدله ، فالوسط إذن ليس مجرد كونه نقطة بين طرفين ، أو وسطية جزئية ، كما يقال : فلان وسط في كرمه ، أو وسط في دراسته ويراد أنه وسط بين الجيد والرديء ، فهذا المفهوم وإن درج عند كثير من الناس ، فهو فهمٌ ناقصٌ مجتزءٌ ، أدَّى إلى إساءة فهم معنى الوسطية المقصودة .

وعلى هذا فالوسط المراد والمقصود هنا : هو العدل الخيار والأفضل إلى أن قال : وبالتالي لم يبق معنى الوسطية مجرد التجاوز بين الشيئين فقط ، بل وأصبح ذا مدلول أعظم ،ألا وهو البحث عن الحقيقة ، وتحصيلها والاستفادة منها .

---

[8] انظر الوسطية في الاسلام (29) و(33)
[9] انظر الوسطية في ضوء القران (41 ، 42) .

وهو معنى يتسع ليشمل كل خصلةٍ محمودةٍ لها طرفان مذمومان ، فأن السخاء وسط بين البخل والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والإنسان مأمور أن يتجنب كل

وصف مذموم ، وكلا الطرفين هنا وصف مذموم ويبقى الخير والفضل للوسط [10] .

المبحث الثالث

مفهوم الوسطية الشامل

يقول محمد قطب : الوسطيَّة هي التوازن, وهي بذاتها أبرز سمات الانسان الصالح ، الذي يسعى المنهج لتحقيقه في واقع الأرض : الشّمول والتكامل ، والتوازن ، الإيجابية السويّة ، الواقعيَّة المثاليَّة [11],ويقول سيد قطب هي : اعتبار الاسلام لجميع الحقائق الواقعة ، دون تعسف ، ودون هوى ، ودون شهوة ، ودون جهل، ودون قصور [12].

ويقول القرضاويّ هي : التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين ، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ، ويطرد الطرف المقابل ، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقّه ، ويطغى على مقابله ويحيف عليه [13] .

ليس شرطا أن تكون الوسطية بين طرفين :

ويلاحظ أنَّ البعض في تعريفه للوسطيَّة يذكر أنَّها وسطٌ بين شيئين ، وهذا ليس مضطرداً ، فالوسطيَّة لا تلزم دائماً أن تكون بين طرفين متقابلين أو متضادين ، فإذا كانت الشجاعة وسطاً بين الجبن والتهور ، وإذا كان الجود أو الكرم وسطاً بين التقتير والتبذير ،

---

[10] انظر : الوسطية في الاسلام (18) وما بعدها .
[11] انظر : منهج التربية الاسلامية محمد قطب ج1 ص35 دار الشروق ط الثالثة 1976م .
[12] انظر : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته سيد قطب ص 163 دار الشروق .
[13] انظر : الخصائص العامة للإسلام د : القرضاوي ص 115 .

فالظلم – مثلاً– ليس وسطاً بين طرفين متقابلين ؛ وإنَّما هو مقابل العدل . والصدق ليس وسطاً بين طرفين متقابلين ؛ وإنَّما هو مقابل الكذب . وكذلك الأمور الفكريَّة والنَّفسيَّة والأمور

السلوكيَّة قد يصعب فيها تحديد هذه البينيَّة .

ويمكن أن نضرب مثالاً هنا بما جاء عن أبي هريرة ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : ((... فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فإنَّه أوسط الجنَّة ، وأعلى الجنَّة ، وفوقه عرش الرَّحمن ، ومنه تفجّر أنهار الجنَّة)) [14] .

ولا يلزم لكل ما يُعتَبَرُ وسطاً في الاصطلاح أن يكون له طرفان ، فالعدل وسطٌ ولا يقابله إلَّا الظُّلم ، والصُّدق وسطٌ ولا يقابله إلا الكذب [15] .

لا بدَّ من وجود الخيريَّة في الوسطيَّة :

كما ينبغي الإشارة إلى ضرورة وجود الخيريَّة فيما يوصف بالوسطيَّة حتَّى يتمَّ التعريف ، وقد ألمح إلى هذا الطاهر بن عاشور فقال : فمن أجل ذلك صار معنى النفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى الوسط عرفاً [16] .

فوائد الوسطيّة :

1– الوسطية تعنى العدل : فمن معاني الوسطيَّة التي وُصفت بها هذه الأمَّة في الآية الكريمة ورتبت عليها شهادتها على البشريَّة كلّها ، العدل .

---

[14] رواه البخاري في الجهاد (2790) .
[15] انظر : الوسطية في الاسلام ص 29 ، نقلا عن الوسطية د : ناصر العمر ص 28 . ط دار الوطن الرياض ط الاولى 1993 .
[16] انظر التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور ج2 ص 17 .

2- الوسطيَّة تعني الاستقامة : والوسطيَّة تعني كذلك : استقامة المنهج ، والبعد عن الميل والانحراف . فالمنهج المستقيم ، وبتعبير القرآن : (الصراط المستقيم) هو –كما عبر أحد

المفسرين – الطريقُ السويُّ الواقع وسط الطّرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب .

3- الوسطيَّة دليل الخيريَّة : والوسطيَّة كذلك دليل الخيريَّة ، ومظهر الفضل والتمييز ، في المادّيات والمعنويّات . ففي الأمور المادّية نرى أفضل حبَّات العقد واسطته ، ونرى رئيس القوم في الوسط والأتباع حوله .... وفي الأمور المعنويَّة نجد التَّوسط دائماً خيراً من التَّطرف.

4- الوسطيَّة تمثل الأمان : إنَّ الوسطية تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر ، فالأطراف عادةً تتعرض للخطر والفساد ، بخلاف الوسط ، فهو محميٌّ ومحروسٌ بما حوله ، وفي هذا قال الشاعر :

كانت هي الوسط المحميّ فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

5- الوسطيَّة دليل القوة : الوسطيَّة دليل القوة ، فالوسط هو مركز القوة ، ألا ترى الشباب الذي يمثل مرحلة القوة وسطاً بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة ؟! والشمس في وسط النهار أقوى منها في أول النَّهار وآخره ؟!

6- الوسطيَّة هي مركز الوحدة : الوسطيَّة تمثل مركز الوحدة ونقطة التلاقي ... فعلى حين تتعدد الأطراف تعدداً قد لا يتناهى ، يبقى الوسط واحداً، يمكن لكل الأطراف أن تلتقي عنده ، فهو المنتصف ، وهو المركز . وهذا واضحٌ في الجانب المادي والجانب الفكريِّ والمعنويِّ عن سواه[17].

[17] انظر: الخصائص العامة للإسلام القرضاوي ص 118- 122 باختصار .

الفصل الثاني حقيقة الوسطية

المبحث الاول

الوسطية بين الغلو والتفريط

الغلو : هو الافراط ومجاوزة الحد والتشدد فيه والزيادة عليه .

قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) [النساء : 171] .

قال الإمام ابن كثير : ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثيرٌ في النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إيَّاه ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه ، بل غلوا في أتباعِهِ وأشياعِهِ، ممَّن زعم أنهم على دينه ، فادّعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه ، سواءٌ كان حقاً أو باطلاً أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً ولهذا قال تعالى : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) [التوبة : 31] [18] .وقال تعالى :(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ.) [المائدة : 77] .

[18] تفسير ابن كثير (1\ 260) .

قال الإمام الطبريُّ : (لا تفرِّطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح عليه السلام فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل، فتقولوا فيه، هو الله، أو هو ابنه ، ولكن قولوا هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ..) [19].

وقال ابن كثيرٍ في تفسير هذه الآية : أي لا تجاوزا الحدَّ في اتباع الحقِّ، ولا تطروا من

أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة الى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبيٌّ من الأنبياء فجعلتموه إلهاً دون الله [20] , وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال :" وإياكم والغلوّ في الدّين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين " [21] .

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((هلك المتنطعون)) قالها ثلاثاً [22]. ومعنى قوله ((هلك المتنطعون)) : أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم [23] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : ((إن هذا الدّين يسر ، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسدّدُوا، وقاربوا وأبشروا)) [24] .

والمعنى لا يتعمق أحدٌ في الأعمال الدِّينيةِ ويترك الرِّفقَ إلّا عجز وقطع فيغلب [25].

والتسديد : العمل بالسداد ، وهو القصد والتوسط في العبادة ، فلا يقصر فيما أمر به، ولا يتحمل منها ما لا يطيقه [26] .

---

[19] تفسير الطبري (6 \ 316) .
[20] تفسير ابن كثير (2\ 82) .
[21] رواه ابن ماجه في سنن كتاب المناسك ، باب قدر حصى الرمي (2 \ 1008 رقم 3029) .
[22] رواه مسلم ، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون (4 \ 2055 رقم 2670) .
[23] شرح مسلم للنووي ، كتاب العلم ، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (16 \ 220) .
[24] صحيح البخاري ، كتاب الايمان ، باب الدين يسر ، (1 \ 18 رقم 30) .
[25] البخاري مع فتح الباري ، كتاب الايمان باب الدين يسر ، (1\ 116) .

وجاء في الأثر ((يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)) [27] .

10

والأحاديث السابقة ترشدنا إلى أنَّ الغلوَّ خروجٌ عن المنهج وتعدٍّ للحد ، وعمل ما لا يأذن به الله ولا رسوله ﷺ [28] .

وبعد أنَّ اتضح لنا معنى الغلو والافراط ، نقف الان مع ما يقابلهما ، وهو التفريط والجفاء والتفريط هو التضييع .

ومنه قول الرسول ﷺ :((أما إنَّه ليس في النوم تفريط)) [29] وإذن فالتفريط هو التقصير والتضييع : والترك .

قال تعالى : (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا) [الانعام : 31] .

قال القرطبيُّ : وفرَّطنا معناه : ضيعنا ، وأصله التقدم، فقولهم : فرَّطنا . أي قدَّمنا العجز [30] .

وقال تعالى : (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) [الانعام : 31] .

قال الطبري : ما ضيَّعنا إثبات شيءٍ منه [31].

---

[26] انظر : المحجة في سير الدلجة لابن رجب (51) .
[27] قال الشيخ الالباني رحمه الله في تعليقه على احاديث المشكاة ، رقم (248) : ان الحديث مرسل .
[28] الوسطية للصلابي ص 42 .
[29] صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب قضاء الصلاة (1 \ 473 رقم 681) .
[30] انظر : تفسير القرطبي (6 \ 431) .

وقال تعالى : (وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف : 28]

قال الطبريُّ : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : ضياعاً وهلاكاً، ومن قولهم : أفرط فلانٌ في هذا الأمر إفراطاً، إذا أسرف وتجاوز قدره ،

وكذلك قوله : (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) معناه : وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا : الرِّياء، والكبر، واحتقار أهل الإيمان، سَرَفاً قد تجاوز حدَّه فضيَّع بذلك الحق وهلك [32].

ومن خلال أقوال المفسرين يتبين لنا أنها تدل على الترك والتهاون ، والتقصير والتضييع مع اختلافٍ بسيطٍ بينَ مدلولِ هذه المعاني ، وكلّها في مقابل الإفراط والغلو .

والخلاصة : أن كل أمرٍ اتَّصف بالتفريط أو بالجفاء فإنه يخالف الوسطية وبمقدار اتصافه بأي من هذين الوصفين يكون بعده عن الوسطية وتجافيه عنها .

المبحث الثاني

الوسطية هي الخيرية

قال تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آل عمران :110]

قال ابن كثيرٍ : الوسط هنا : الخيار والأجود، كما يقال لقريشٍ أوسط العرب نسباً وداراً، أي خيرها وفي تفسيره لقوله تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) قال : يعني الناس للناس ، والمعنى : أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس ، إلى أن قال كما في الآية الاخرى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً) [البقرة :143] أي خياراً .[33]

---

[31] انظر تفسير الطبري (7 \ 188) .
[32] تفسير الطبري (15 \ 236) .
[33] انظر تفسير ابن كثير (1 \ 190) و391 .

قال الطبريُّ معنى ذلك : كنتم خير أمة أخرجت للناس، إذا أخرجت للناس ، إذا كنتم بهذه الشروط التي وصفهم – جلَّ ثناؤه – بها ، فكان تأويل ذلك عندهم : كنتم خير أمَّةٍ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكرِ ، وتؤمنون بالله [34].

12

وروى الترمذيُّ في تفسيره لهذه الآية أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : ((إنكم تتمون سبعين أمَّة أنتم خيرها وأكرمها عند الله)) [35] ,وقال ﷺ : ((أُعطيتُ ما لم يعطَ أَحَدٌ منَ الأنبياء)) فقلنا يا رسول الله ما هو ؟ فقال : ((نصرتُ بالرُّعبِ، وأُعطيتُ مفاتيحَ الأرضِ، وسمّيت أحمد، وجُعِلَ التُّرابُ لي طهوراً، وجُعِلَت أمَّتي خير الأمَمِ)) [36] , نعم ، لم تنل هذه الأمَّةُ هذه المكانةِ السامقةِ بين الأُمَمِ، مصادفةً، ولا جزافاً ولا محاباةً، فالله سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن أن يكونَ في مُلكِهِ شيءٌ مِن ذلك، فكلُّ شيءٍ عندَهُ بمقدارٍ ، وهو يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ، وهو سبحانه عندما أخبرَ أنَّ هذه الأمَّة خيرُ أمَّةٍ أُخرِجَت للنَّاس، بيَّنَ وجهَ ذلكَ وعلّته في نفس الآيةِ فقال : (تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ) [آل عمران : 110] فبهذه الأُمورِ الثلاثةِ العظيمةِ القدرِ كانت هذه الأُمَّة خيرَ أمَّةٍ أُخرِجت للنَّاس، على أنَّ هذه الأُمور ليست في كل ما كانت به هذه الأمة خير أمة ، إذ هنالك أُمور وخلال كثيرةٍ أَهَّلَت هذه الأمَّة لهذه الخيريَّةِ، ولكنَّ هذه الثَّلاثةِ أهمُّها وأعظمها، إذ لا تدوم ولا تستمر هذه الخيريَّةُ ولا تُحفظُ إلَّا بإقامتها وأدائها، فإن فقدت هذه الأمور جيل من أجيال هذه الامة لم يكن حريًّا بهذه الخيريَّةِ التي حظيت بها هذه الأمَّة [37] .

الوجه الأول : إيمانها بالله عز وجل :

---

[34] تفسير الطبري (2\ 7) .
[35] اخرجه الترمذي ، كتاب تفسير القران ، باب سورة آل عمران ، (5 \ 211 رقم 3001) .
[36] اخرجه احمد (1 \ 98 ، 158) .
[37] الوسطية للصلابي من 68 فما بعدها .

إنَّ إيمان هذه الأمَّة يتميزُ عن إيمانِ سائر الأمم بأنَّه إيمانٌ عامٌ وشاملٌ، يشملُ جميعَ الرُّسل الّتي أُرسلت، والكتب التي أُنزلت على جميع الأمم التي خلت : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البقرة : 285] .

13

قال ﷺ في حديث جبريل المشهور في بيانِ حدِّ الإيمان الواجب على هذه الأمَّة : ((أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الاخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره)) .[38] فحصل لهذه الأمَّة المحمَّديَّةِ من الإيمان بجميع الرُّسل ، وجميع الكتب ما لم يحصل لغيرها .

الوجه الثاني : انها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر :

وهذه من أعظم ما به كانت الأمَّة خير أمَّة أخرجت للناس ، فهو من أظهر خصائصها ، وأبرز ما تتميز به عن سائر الأمم ، ولذلك قدَّمها الله عَّز وجلَّ في الذِّكرِ على الإيمان به تعالى ، مع كونه – أي الإيمان – متقدماً عليهما في الوجود والرتبة ، قال : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ) [آل عمران : 110] . وقد أمر الله هذه الأمَّة بأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وأن يكون فيها من يقوم بذلك فقال عز وجل : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران : 104] .

كما أوجب النبيّ ﷺ ذلك على أمَّته على حسب الاستطاعة وهي مراتبٌ : فقال : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) .[39]

[38] اخرجه مسلم ، كتاب الايمان ، باب بيان الايمان والاسلام (1\ 36) .

الوجه الثالث : كونها خير الامم للناس وانفعها لهم :

وذلك أنَّ الأمَّة لما قامت بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان من أعظم المعروف

الذي تأمر به : الإيمان بالله عز وجل وعبادته وحده ، ومن أنكر المنكر الذي تنهى عنه وتحذر الناس منه : الإشراك بالله وعبادة غيره من دونه .

إنَّما كانت في الواقع تدعو الناس إلى ما فيه نفعهم ونجاتهم ، وتنهاهم عما فيه هلاكهم ، باذلةً في سبيل ذلك النَّفس والنَّفيس ، ليس لها هدف إلا القيام بما أوجبه الله عليها من هداية الخلق إلى طريق النجاة ، وإخراجهم من ظلمات الجهل والشك والوثنيَّة ، إلى نور التوحيد والإيمان ، وتحريرهم من عبوديَّة العباد الى عبوديَّة الخالق جلَّ وعلا .

الوجه الرابع : كونها أكثرُ النَّاس استجابةً للأنبياء :

قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : ((أنا أول شفيعٍ في الجنَّة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإنَّ من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمَّته إلا رجلٌ واحدٌ)) [40].

وقال أيضا: ((عُرِضت عليَّ الأُمم ، فجعل النبيّ والنبيَّان يمرُّون معهم الرَّهط والنبيّ ليس معه أحدٌ ، حتّى رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ ، قلت ما هذا ؟ أمَّتي هذه ؟ قيل : بل هذا موسى وقومه ، قيل : انظر إلى الأفق ، فإذا سوادٌ يملأ الأفق ، ثم قيل لي انظر هاهنا ، وهاهنا — في آفاق

---

[39] اخرجه مسلم ، كتاب الايمان ، باب النهي عن المنكر (1 \ 69 ، رقم 49) .
[40] اخرجه مسلم ، كتاب الايمان ، باب ادنى اهل الجنة منزلة (1 \ 88) ، رقم الحديث (332) .

السماء – فإذا سوادٌ قد ملأ الأفق ، وقيل : هذه امتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب)) [41].

الوجه الخامس : كونها لا تجتمع على ضلالة :

وذلك أنَّها أمَّةٌ ورثت الرّسل في القيام بهداية البشر ودعوتها إلى ما دعا إليه سائر الرسل من

الإيمان بالله وعبادته وحده ، فهي ذات رسالة تبلغها ، وتستمر في إبلاغها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولذلك ما كان لهذه الأمَّة أن تضلَ على مهمتها ورسالتها مهما طال عليها الأمد ، وامتد بها الأجل لأنها إن ضلَّت فلن يهتدي أحد ، لانقطاع الوحي والرسالة .

قال ﷺ : ((إنَّ الله قد أجار أمَّتي أن تجتمع على ضلالة)) [42] .

كما وقال ﷺ : ((لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)) وفي رواية ((لا تزال طائفةٌ من أمَّتي منصورين لا يضرُّهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)) [43].

الوجه السادس : كون الكتاب الذي أنزل عليها خير الكتب السماوية : وذلك من وجوه :

1- أنَّه الكتاب الذي وصفه الله تعالى بأنَّه أحسن الحديث الذي أنزله .

2- أنَّه الكتاب السماويّ الوحيد الذي تكفّل الله بحفظه وصيانته من الزيادة والنقصان والتحريق والتبديل .

3- أنَّه الكتاب المهيمن على الكتب قبله .

---

[41] اخرجه البخاري : كتاب الطب ، باب من اكتوى ، أو كوى غيره ، وفضل من لم يكتو (10 \ 155) رقم الحديث (5705) .
[42] ابن ابي عاصم : السنة (1\ 41) .
[43] صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالسنة ، باب لا تزال طائفة (7 \ 189) .

4- أنَّه الكتاب الوحيد الذي تحدى الله لبشرٍ أن يأتوا بسورةٍ من مثله .

الوجه السابع : كون نبيّها أفضل الأنبياء والرّسل عليه وعليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام :

لقد بيَّن الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم أنَّه فضَّل بعض الرسل والأنبياء على بعض فقال : ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة : 253] .

الوجه الثامن : تقديمها على الأمم في الحشر والحساب يوم القيامة ودخول الجنَّة مع كونها اخر الأُمم :

إنَّ ممَّا يدل على فضل هذه الأمَّة ، كونها خير الأمم ما خصَّها الله به من التكريمِ والتشريفِ وتقديمها على سائرِ الأُمم يوم القيامة في الحشر والحساب ، كما قال ﷺ : ((نحن آخر الامم ، وأول من يحاسب يقال : أين الأمة الأمَّية ونبيّها ؟ فنحن الآخرون والأوَّلون)) [44] .

الوجه التاسع : كونها أكثر أهل الجنَّة :

[44] اخرجه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب : فرض الجمعة (2\ 354) رقم الحديث (876) .

لما كانت هذه الأُمَّة أكثر الأمم استجابة للرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم حتى كان ﷺ أكثر الأنبياء تابعا ، امتازت بأنَّها أكثر من يدخل الجنَّة من الأمم وفي ذلك دلالةٌ جليةٌ على فضلها وخيريَّتها .

يقول ﷺ : ((أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة)) قلنا نعم . قال : ((أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنَّة ؟)) قلنا : نعم . قال : ((أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنَّة ؟)) قلنا : نعم . قال : ((والذي نفس محمَّد بيده ، إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنَّة ، وذلك أنَّ الجنَّة لا

يدخلها إلّا نفسٌ مسلمةٌ ، وما أنتم في أهل الشرك إلّا كالشَّعرة البيضاء في جلد الثورِ الأسودِ ،

أو كالشَّعرة السوداء في جلدِ الثورِ الأحمرِ)) [45] وبذلك اتضحت لنا أوجه الخيريَّة لهذه الأمَّة ، وبينَّا معنىً من معاني الوسطيَّة ألا وهو : الخيريّة .

الفصل الثالث

خطر الانحراف عن الوسطية

إن من أخطر صور الانحراف عن منهاج الوسطية، والبعد عن طريق رسول صلى الله عليه و سلم، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان، القول بتكفير أصحاب الكبائر وخروجهم من الإسلام، تلك الفتنة القديمة الجديدة: قديمة؛ إذ قالت بها فئة ضالة خرجت على جماعة المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين، فسماها المسلمون (الخوارج)، وترتب على ضلالها في التكفير، والقول على الله وعلى رسوله بغير علم، فتن وخلافات بين المسلمين، سُفكت فيها

[45] اخرجه البخاري : كتب الرقاق ، باب كيف الحشر (11 \ 378) رقم الحديث (6528) .

الدماء، وانتهكت فيها الحرمات، وقاسى المسلمون من آثارها المدمرة منذ بدأت إلى الآن، آلامًا عظيمة، ومحنًا كبيرة وجديدة؛ لأن بعض الجماعات الإسلامية في الوقت الحاضر تقول بتكفير الحكام المسلمين والمجتمعات الإسلامية، وتدعو للخروج عليهم. وهذه الجماعات بهذا المسلك تلتقي مع الخوارج في تكفير أصحاب الكبائر، والدعوة إلى الخروج على ولاة الأمر، وإثارة الفتن في صفوف المسلمين"[46].

فجماعات التكفير التي تطلق الكفر على الحكام، أو على المجتمعات، دونما تفصيل

ومعرفة للأحوال والواقع، تتابع ما قالته وفعلته الخوارج منذ القدم، في مرتكبي الكبائر وتكفيرهم بذلك.

فمما جاء في السنة من النهي عن تكفير المعين:

1- قول النبي صلى الله عليه و سلم: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[47]

2- وقوله صلى الله عليه و سلم: «مَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»[48].

3- وقوله صلى الله عليه و سلم: «مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ» [49]أي: رجع عليه قوله.

---

[46] الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله - (ج 1/ص 64)

[47] أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، حديث رقم (6104)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، حديث رقم (60)، واللفظ لمسلم.

[48] أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن، حديث رقم (6047).

[49] أخرجه ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، حديث رقم (61)

4- وقوله صلى الله عليه و سلم: «لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ، وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ»[50].

5- أبا هريرة رضي الله عه يقول قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «لا يجتمع رجلان في الجنة أحدهما قال لأخيه يا كافر»[51].

والكفر المقصود في الأحاديث إنما هو كفر دون كفر ما لم يستحلَّه. وقال ابن عبد البر:

والمعنى فيه – عند أهل الفقه والأثر أهل السنة والجماعة – النهي عن أن يكفر المسلم أخاه المسلم بذنب أو بتأويل لا يخرجه من الإسلام عند الجميع[52].

وهذا أصل من أصول العقيدة كما رُوي عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ وَلَا نُخْرِجُهُ مِنْ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ»[53].

وهذا ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فعن الأعمش عن أبي سفيان، قال سألت جابرًا رضي الله عه، وهو مجاور بمكة، وكان نازلاً في بني فهر، فسأله رجل: هل كنتم تدعون أحدًا من أهل القبلة مشركًا؟ فقال: معاذ الله. وفزع لذلك، قلت: هل كنتم تدعون أحدًا منهم كافرًا؟ قال: لا[54].

---

[50] أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن، حديث رقم (6045).

[51] مسند إسحاق بن راهويه ج 1 ص 434

[52] التمهيد لابن عبد البر ج 17 ص 194.

[53] أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في الغزو مع أئمة الجور، حديث رقم (2532)، وضعفه الألباني.

[54] (صحيح موقوف): المطالب العالية ج 12 ص 194

وهكذا أهل السنة والجماعة، يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: «أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله لأن الكذب والزنا حرام لحق الله، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله وأيضا فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها وإلا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر»[55].

20

وإنما بدأت هذه البدعة على يد الخوارج، وقد قال المزني – رحمه الله –: «الخوارج، خرجوا على الأئمة بالسيف لإنكار المنكر، فوقعوا في أنكر المنكر من تكفير الأئمة، وإنكارهم السلطان، وتكفيرهم الأمة بالصغائر، وهذا من أبدع البدع، وهؤلاء كلاب أهل النار»[56].

وقد قال ابن أبي داود في قصيدته[57]:

ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا فكلهم يعصي وذو العرش يصفح

ولا تعتقد رأي الخوارج إنـــــــه مقال لمن يهواه يردي ويفضـــــح

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –: «يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام»[58].

---

[55] الاستغاثة في الرد على البكري ج 1 ص382.

[56] قوت القلوب ج 1 ص 397.

[57] قصيدة ابن أبي داود ج 1 ص 38

[58] كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ج 13 ص 31

وقال أيضا: «لا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة فإن الله تعالى قال: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء، وغفر للمؤمنين خطأهم[59].

وقال شارح الطحاوية: الأمور التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع إذا لم ترد إلى الله والرسول لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضا ولم يبغ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان

يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضا ولا يعتدي ولا يعتدى عليه، وإن لم يُرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة وكفروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته[60].

حتى وقوع المسلم في المعاصي والكبائر لا ستلزم كفره، كما قال العلامة النووي – رحمه الله –: «مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا»[61],وعن وكيع الجراح قال: سمعت سفيان الثوري في آخر أمره يقول: نحن نرجو لجميع أهل الذنوب والكبائر الذين يدينون ديننا ويصلون صلاتنا وإن عملوا أي عمل[62].

حتى أهل الأهواء والبدع فإنه لا يحكم بكفرهم حكما قطعيا، قال ابن زمنين: اختلف أهل العلم في تكفير أهل الأهواء، فمنهم من قال أنهم كفار مخلدون في النار. ومنهم من لا

---

[59] مجموع الفتاوى ج 3 ص 282.

[60] شرح العقيدة الطحاوية ج 1 ص 579.

[61] شرح النووي على صحيح مسلم ج2 ص49.

[62] تاريخ بغداد ج 6 ص 109.

يبلغ بهم الكفر ولا يخرجهم عن الإسلام ويقول: إن الذين هم عليه فسوق ومعاصي إلا أنها أشد المعاصي والفسوق[63].

وقال أبو حيان التوحيدي: ورأيت كثيرًا من المتكلمين يسرعون إلى تكفير قومٍ من أله القبلة لخلاف عارضٍ في بعض فروع الشريعة، وهذا الإقدام عندي مخوف العاقبة مذموم البديّ، وكيف يخرج الإنسان من دين يجمع أحكامًا كثيرة، وقد تحلّى منه بأشياء كثيرة ليست خطأ منه، وليس المعارض له بالتكفير بأسعد منه في نقل الاسم إليه[64],فلا يجوز تكفير المسلم إلا إذا تحققت الشروط في كفره وانتفت الموانع، ويكون ذلك من الراسخين في العلم، وقد قال ابن

تيمية: «أن الكفر حكم شرعي يتعلق بالشرع»[65]، وقد بين النبي صلى الله عليه و سلم أنه يخرج في آخر الزمان قومٌ «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[66],وقال صلى الله عليه و سلم: «خْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ – وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا – قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ أَوْ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ إِلَى نَصْلِهِ إِلَى رِصَافِهِ فَيَتَمَارَى فِي الْفُوقَةِ هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنْ الدَّمِ شَيْءٌ»[67],وقال صلى الله عليه و سلم: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ

---

[63] رياض الجنة ج 1 ص 306.

[64] البصائر والذخائر ج 7 ص 249.

[65] كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ج 13 ص 126

[66] أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله Y: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ، حديث رقم (3344)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم (1046).

[67] أخرجه البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين ومحاربتهم، باب قتل الخوارج الملحدين بعد إقامة الحجة، حديث رقم (6931)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم (1064).

السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[68]، ولا شك أن الذي يتولّى قتلهم إمامُ المسلمين.

أما أن يعتبر الاختلاف في الرأي داعيا إلى تكفير الأمة بعضها بعضا، فهو الذي نهى النبي صلى الله عليه و سلم عنه، وقال الشيخ محمد طاهر عاشور: «كلّ تفريق يفضي بأصحابه إلى تكفير بعضهم بعضًا، ومقاتلة بعضهم بعضًا في أمر الدّين، فهو ممّا حذّر الله منه»[69]

23

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده , وبعد :
فهذه خلاصة البحث والنتائج المستخلصة منه :

-1 إنّ المعنى اللغويّ لكلمة (وسط) تدلّ على معاني الخير، والعدل ، والجودة ، والرفعة والمكانة العالية وما تصرّف منها يؤول إلى معاني متقاربة.

-2 من خلال أقوال المفسِّرين اتضح لي لا التزام بين الوسط والوسطية فكل وسطيَّة فهي وسط ، ولا يلزم من كل وسطٍ أن يكون دليلاً على الوسطيَّة ، فقد يكونُ من الوسطِ المكانيِّ أو الزماني ونحوه.

-3 من خلالِ ما ذكره علماءُ التَّفسيرِ يتبيَّن لنا أنَّ كلمة الوسط ، تستعمل في عدة معانٍ هي:

أ - بمعنى الخيار والأفضل والعدل.

---

[68] أخرجه البخاري: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين ومحاربتهم، باب قتل الخوارج الملحدين بعد إقامة الحجة، حديث رقم (6930)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، حديث رقم (1066).

[69] تفسير التحرير والتنوير ج 8 ص 19.

ب - قد ترد لما بين شيئين فاضلين.

ج - تستعمل لما كان بين الجيد والرديء , والخير والشر.

-4 الوسطيَّةُ تطلق على الأمر الذي فيه خيريَّة وبينيَّة وأنَّ أيَّ أمرٍ اتصف بالخيريَّة والبينيَّة فهو الذي يصحُّ أن يطلقَ عليه وصفُ الوسطيَّة حيث اتَّضح لنا تلازمٌ بين الخيريَّة والبينيَّة في إطلاق مصطلح الوسطيَّة

-5 لا نستطيعُ فهمَ الوسطيَّة حتَّى نفهمَ أساسها وهي : الغلو أو الإفراط والجفاء أو التفريط والصّراط المستقيم.

-6 كلُّ أمرٍ فيه غلوٌ أو إفراطٌ فهو خروجٌ عن الوسطيَّة.

-7 كلُّ أمرٍ اتَّصف بالتَّفريطِ أو الجفاء فإنَّه يخالفُ الوسطيَّة وبمقدار اتَّصافه بأيٍّ من هذين الوصفين يكون بعده عن الوسطيَّة وتجافيه عنها.

-8 أنَّ الصِّراط المستقيم قمَّة الوسطيَّة وذروة سنامها وأعلى درجاتها.

-9 أنَّ المقياس المعتبر في فهم الوسطيَّة هو الشَّرعُ، وليس ما تعارف عليه النَّاس من مداهنةٍ وتنازلٍ وتساهلٍ.

-10 أنَّ هناك عوامل كثيرة ، أصولاً معتبرة تجب مراعاتها عند ضبط مفهوم الوسطيَّة ، وتطبيقها على أمرٍ من الأمور ، حيث أنَّ قصر النظر عن أمرٍ دون آخر يؤدي إلى الانحراف عن مفهوم الوسطيَّة.

-11 للوسطيَّة سمات وملامح تحفه بها وتميزها عن غيرها ، ومن أهمّ هذه الملامح سمة الخيريَّة ، وسمة العدل ، وسمة اليسر ورفع الحرج ، وسمة الحكمة ، وسمة البينية ، وسمة الاستقامة.

-12 إنَّ خيريَّة هذه الأمَّة تتحقق بأمورٍ أهمُّها : الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والإيمان بالله.

-13 إذا قارنت بين اليهودية والنَّصرانية والإسلام في دنيا الناس اتَّضحت وسطيَّة الإسلام.

-14 أنَّ سمة اليسر والتوسعة ورفع الحرج قضيَّة منهجٍ متكاملٍ ، وليست تتعلق بجزئيةٍ أو جزئيات كما يتصور بعض النَّاس ، وأنّ هذا ملمح من ملامح الوسطيَّة ، ولا نستطيع فهم الوسطيَّة إلا إذا فهمنا هذه السمة البارزة في ديننا.

-15 أنَّ الحكمة هي وضع الشيء في محله وهي سمةٌ مهمَّةٌ من سمات الوسطيَّة ، بل من أهمِّ سماتها .

-16 أنَّ الاستقامة على منهج الله هي عين الوسطيَّة وجوهرها الأصيل.

-17أنَّ صفة البينيَّة أمرٌ مهمٌّ في تحديد الوسطيَّة وهذه البينيَّة ليست مجرد الظرفيَّة ، وإنَّما هي التي تعطي الدّلالة على التوازن والاستقامة والعدل ، ومن ثم الخيريَّة فهذه هي الوسطيَّة الحقَّة ، وهذا ما قرَّره العلماءُ الكرامُ من السابقين واللاحقين.

والحمد لله ربِّ العالمين .

26

مصادر ومراجع البحث

1- القرآن الكريم .

2- تاريخ بغداد – ابو بكر أحمد بن علي (الخطيب البغدادي) , دار الكتاب العربي , لبنان .

3- التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور , دار الكتب الشرقية , تونس .

4- تفسير القرآن العظيم - اسماعيل ابن كثير , دار الفكر – المكتبة الشعبية .

5- التمهيد لابن عبد البر – يوسف ابن عبد الله القرطبي , طبعة مصورة , بيروت .

6- الجامع لأحكام القرآن – محمد بن أحمد لقرطبي , دار الكاتب العربي .

7- خصائص التصور الاسلامي ومقوماته - سيد قطب , دار الشروق .

8- الخصائص العامة للإسلام - يوسف القرضاوي , مؤسسة الرسالة , لبنان .

9- جامع البيان (تفسير الطبري) – محمد ابن جرير الطبري , مطبعة الحلبي , مصر .

10- دور القرضاوي في تأصيل الوسطية - أكرم كساب , مكتبة وهبة ط1 , مصر .

11- رياض الجنة في الاحتجاج بالسنة – الإمام السيوطي , الجامعة الإسلامية , المدينة المنورة , السعودية .

12- سنن أبي داوود – سليمان ابن الأشعث , تحقيق : محيي الدين عبد الحميد , مصر .

13- سنن الترمذي – محمد ابن عيسى الترمذي , تحقيق : أحمد شاكر و آخرين , دار إحياء التراث العربي , لبنان .

14- سنن ابن ماجه – محمد ابن يزيد القزويني , تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي , مطبعة الحلبي .

15- شرح العقيدة الطحاوية – محمد ابن ابي العز الحنفي , المكتب الإسلامي , لبنان .

16- شرح صحيح مسلم للإمام النووي – يحيى بن شرف النووي , الطبعة الأولى , مصر .

17- الصحاح في اللغة والعلوم – اسماعيل بن حماد الجوهري , تحقيق : أحمد العطار . دار العلم للملايين .

18- صحيح البخاري – محمد بن اسماعيل البخاري , المكتبة الاسلامية , تركيا .

19- صحيح مسلم – مسلم ابن حجاج , تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي , طبعة دار الإفتاء , السعودية.

20- القاموس المحيط - محمد ابن يعقوب الفيروزأبادي , دار الفكر العربي – بيروت .

21- لسان العرب – جمال الدين محمد ابن منظور . دار صادر – لبنان .

22- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام , دار الإفتاء بالسعودية .

23- معجم مقاييس اللغة – احمد بن فارس ابن زكريا – تحقيق عبد السلام هارون , مطبعة الحلبي – مصر .

24- مسند الامام أحمد – أحمد ابن حنبل , المكتب الإسلامي , بيروت .

25- مشكاة المصابيح - التبريزي , تحقيق ، ناصر الدين الألباني , المكتب الإسلامي , لبنان .

26- المصباح المنير – أحمد الفيومي , تحقيق مصطفى السقا , مطبعة الحلبي . مصر .

27- منهج التربية الاسلامية - محمد قطب , دار الشروق , ط الثالثة 1976م .

28- الوسطية في الاسلام – محمد عبد اللطيف , دار النفائس , بيروت .

29- الوسطية في ضوء القرآن - ناصر العمر , دار الوطن الرياض ط الاولى 1993 .

30- الوسطية في القرآن - علي محمد الصلابي , مكتبة الايمان ط1 , مصر .